AL-SABUNI

AL-DURUS

R

الدروس الجلية للشبهات الخفية

التي القاها الاستاذ المرحوم الشيخ احمد الصابوني

مدرس العام الاسبق في حماه

المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ

لمحررها وشارحها الفقير اليه تعالى

عبد الرحمن المصري

مأمور التنفيذ بحماه حالا

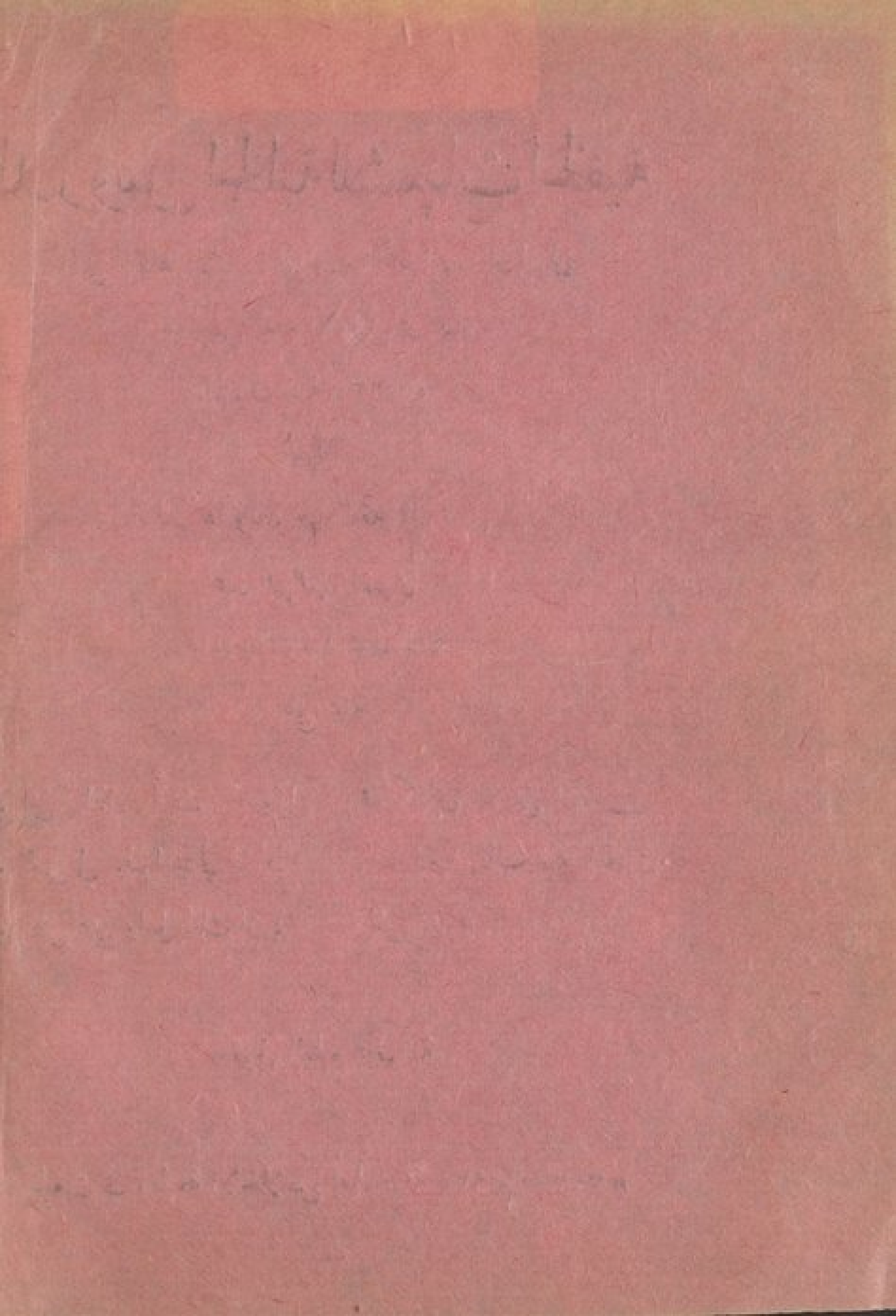
عفي عنه

لاتلمني اذا رأيت قصورا · في كتابي لانني انسان

والتمس لي عذرا يزدني نشاطا · رب لوم يرتاب فيه الجنان

وارض عني واعلم بانك ان لم · ترض عني «كما تدين تدان»

طبعت في مطبعة الاخلاص بحماه سنة ٩٢٥ م — ٣٤٣ هـ



الدروس الجلية للشبهات الخفية

التي القاها الاستاذ المرحوم الشيخ احمد الصابوني

مدرس العام الاسبق في حماه

المتوفي سنة ١٣٣٤ هـ

لمحررها وشارحها الفقير اليه تعالى

عبد الرحمن المصري

مأمور التنفيذ بحماه حالا

عفي عنه

لاتلمني اذا رأيت قصورا ... في كتابي لانني انسان

والتمس لي عذرا يزدني نشاطا ... رب لوم يرتاب فيه الجنان

وارض عني واعلم بانك ان لم ... ترض عني «كما تدين تدان»

طبعت في مطبعة الاخلاص بحماه سنة ٩٢٥ م = ٣٤٣ هـ

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لك يامن تقدست عن الشبيه والنظير . وقام الوجود بك وحدك فتجلى بجمال الطبيعة لايشاركك بايجاده وزير ولا نصير . سبحانك تعاليت عما يصفونك من الصفات المنافية لما وصفت به نفسك علواً كبيراً . ارسلت الرسل وسيلة لانقاذ العباد من ظلمة الجهل بك . فأدوا الرسالة كما امرتهم . وبشروا وانذروا . صلواتك وسلامك عليهم اجمعين

المقدمه

و بعد فأن من اهم الاشياء واجلها اظهار حقائق الامور واثباتها بالادلة الواضحة وقوة الذاكرة والفكر الحاد. وان خير الاعمال وافضلها الجد والاجتهاد بارشاد الناس الى الطريق المستقيم . ومن الواجب على كل من يرى في نفسه الكفاءة ان يتفرغ لهداية الامم وتعليمها العلم الحقيقي وان لا يغفل عن تهذيب النفوس و بث معرفة الدين الخالص عن شوائب الكدرات في مكامنها فقد قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم [لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم] وطريقة هدي النفوس لايتأتي ان يعلمه كل فرد من الناس لان عقول البشر تتفاوت ومعارفهم تختلف والله تعالى اودع في عباده اسرار حكمته منهم العالم ومنهم الجاهل ومنهم العاقل والمجنون فلا يخطر على بال احد ان العلم ينحصر في رجل واحد ولا الفهم والذوق والادراك هم في العالم الفلاني مثلا او انه لايقدر ذاك العالم ان يدرك علم ذاك ويحيط بعلومه . من هنا يدخل على بعض الناس الخطأ وترسخ في اذهانهم الاوهام والظنون ولم يخطر في بالهم « وفوق كل ذي علم

عليم » ولم يلحظوا ان قوة ذاكرة هذا يمكن ان تعلم اكثر من ذاكرة ذاك

والحاصل ينبغي للانسان ان يلاحظ هذه النقطة العظيمة وهي المعرفة الكاملة التي لم تنحصر ولم تنفرد الا بالله العليم

[العلم للرحمن جل جلاله   وسواه في جهلاته يتغمغم]

وخلاصة القول ان الله تعالى يهب الحكمة لمن يشاء من عباده « ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » وان ممن ادرك هذه المعرفة وعرف اسرار كنهها الاستاذ المرحوم الشيخ احمد الصابوني المدرس العام الاسبق بحماه فانه القى دروسا عامة سنة ثلاثماية وثمانية وعشرين بعد الالف هجرية في مساجد مختلفة وانني كنت في ذاك الوقت ملازما له اقتطف من دروسه دررا اتحفها للقرآء في جريدته لسان الشرق بقصد النفع العام وحيث ان الجريدة قد مضى عهدها من ذاك الحين احببت ان اجمعه بكتاب صغير الحجم لما فيه من الفوائد التي تذكر للمرحوم بعده فتشكر على ان اشرح كل نكتة علمية او تاريخية تستوفي البحث راجيا من القراء العذر عن القصور لانني انسان يخطيء ويصيب والعصمة لاتكون الا لمن خصهم الله بها وهو ولي التوفيق

الدرس الاول

حقائق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسوفسطائية

قرر الاستاذ هذه الجملة تقريرا لم يسبق لانه كشف استار الشكوك عن جواهر الافكار وازاح غياهب الاوهام عن مدارك الافهام تكلم عن السوفطائية وبين مذاهبهم المشهورة التي لم يخل منها حتى هـذا الزمن كما انها كانت منتشرة في الازمان السالفة واورد حكاية عن بعض معتنقي هذا المذهب بان زار الامام ابا حنيفـة رضي الله عنـه فجرى بينه وبين الامام مباحثة طويلة كانت نتيجتها اقرار السوفطائي

[السوفسطائية] هم قوم يزعمون ان الاشياء لاحقيقة لها ان مانستبعده يجوز ان يكون على مانشاهده ويجوز ان يكـون على غير مانشاهده وان حال اليقظان كحال النائم . حكي ان النظـام المكنى ابا اسحق احد كبار المعتذلة مضى هو وابو الهذيل العلاف الى صالح بن عبد القدوس وكان مذهبه السوفسطائية يعزيانه بولد له مات فراه محترقا على ولده فقال ابو الهذيل لااعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالذرع فقال صـالح ياابا الهذيل انمـا اجزع عليه لانه لم يقرأ

يخطأ نفسه كما جرى مثل ذلك بحضور المأمون من المباحث الطويلة والزام هؤلاء الذين يعملون لانكار الحقائق توصلا الى مآرب يهدمون بها ماشيده المؤسسون للحق ومن هنا دخل الاستاذ في تقرير وتوضيح المخالفة لاهل السنة والجماعة من يوم القى المفسدون ودسوا لهم السم بالدسم وجعل كل فرقة من الفرق تزخرف اقوالها وتصقل عباراتها بانواع الوهميات وتلقي في اذهان الناس مايشوش الاعتقادات . الى

كتاب الشكوك وهو كتاب وضعته من قرأ شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك ايضا في انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه فظهر عليه ولم يقدر ان يرد ذلك الى السوفسطائي عليه وافحم . وان هذا المذهب السخيف يابى كل من فيه ذرة من العقل ان يقبله ويحتار الانسان الكامل حين يسبر احوال معتنقي هذا المذهب ويقف على اقوالهم خصوصا عند مايرى البعض منهم اهل دراية ونوعا من المعرفة وانني لم اقدر ان اكيف هذه الفرقة بكيفية تنطبق على احوال البشر الا انهم والله اعلم ابتلوا بداء الوسواس والسوداء فتمكن بهم هذا الداء حتى انهم وصلوا الى ماوصلوا اليه من الغلو في المكابرة

ان حدث ماحدث في تلك القرون الخالية وتفرقت الفرق واختلفت الاراء « وكل حزب بما لديهم فرحون »وعدد اسماء الفرق من الخوارج كالازارقة والصفرية والنجدات وذكر القدرية ومؤسس هذا المذهب القدري واول قائل به في الملة الاسلامية وشرح مذاهبهم واعتقاداتهم وبين مقاصدهم السيئه باسلوب عربي وعبارة وجيزة واني اختصرت شرح مذاهبهم واسمائهم لضيق نطاق الجريدة عن بث حقائقها وانما قصدنا الاشارة لمن يريد ان ينظر في صحائف التاريخ وقد التفت في اثناء درسه الى الكتاب الذي بدا يشرح جمله ويفض معانيه وتكلم

[قوله المذاهب المخالفة] لاهل السنة والجماعة هم ثمانية فرق جبريه ويقابلها قدرية مرجئه ويقابلها وعيدية صفاتية و يقابلها جهمية وشيعية يقابلها خوارج — وان من هذه الفرق الثمانية تفرقت الفرق وكثر الاخذ والرد الى ان اصبحت ثلاثة وسبعين فرقة تصديقا لقول الرسول الاعظم ستفترق امتي ثلاثا وسبعون فرقة الحديث — وقد تفاقم الامر بين المسلمين واصبح كل يصحح قوله ويدعو الناس اليه وان من يطلع على حجج الفرق الثمانية التى تولدت منها الفرق الاخر وما استدلت به على توطيد دعائم مذاهبها من الآيات البينات والاحاديث الصحيحة التي توافق مشربهم يقف حيران تجاه القضاء والقدر ولا يسعه الا ان يقول

عن واضع هذا العلم الشريف وسبب وضعه له فمن اهم الاسباب التي ساقها للاذهان وقرب لدى الحاضرين لترسخ في افئدتهم الفائدة وهو اختلاف المخالفين والشقاق والتفرقه والخروج عن مذهب السلف والابتداع في الاعتقادات وغير ذلك مما يحق ان يسطر على صفحات الدهر . ثم قال والا لما كان لهذا الفن الكريم من لزوم لان القرآن المحفوظ في الصدور والسنة النقية من الاغيار هما خير هدي واحسن طريق واعظم قائد الى معرفة التوحيد وقمع شروش التفرقة والخلاف من مكامن نفوس الموحد

[ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب]

« قوله الخوارج » هم الذين خرجوا على امير المؤمنين علي بن طالب رضي الله عنه والذين كانوا معه في حرب صفين فانقلبوا وكذبوا عليه وخطأوه في قصة التحكيم المشهوره ونسبوا له اشياء هو منها برآء وطعنوا ايضا في سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي اصحاب الجمل وصفين وكبار فرق الخوارج ستة الازارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والاباضية والثعالبة وباقي الفرق فروع عن هذه الفرق الستة فالازارقة اصحاب ابي راشد نافع ابن الازرق والنجدات اصحاب نجده

لكن لما كثرت الاختلافات واختلطت العلوم الدينية بالعلوم الفلسفية ولغط الناس واصبح الامر في الاعتقادات لايخلو من تغاير وضعت العلماء الاعلام هذا العلم الوحيد وعددت على صفحات الكتب ترهات المارقين عن الدين وردت على كل فرقة ردوداً مسلمة بالبداهة واظهرت للعارفين والعالمين احوالهم السفيلة · ولما كانت حقائق الاشيآء ثابتة عند ذوي العقول خلافا لمن لم يعقل بانه هو نفسه او هو غيره

ابن عامر الحنفي والصفرية الزيادية اصحاب زياد ابن الاصفر والبيهسية اصحاب ابي بيهس والعجارده اصحاب عبد الكريم ابن عجرد وفي هؤلاء قال النبي صلى الله عليه وسلم [يحقر صلاة احدكم في جنب صلاتهم وصوم احدكم في جنب صيامهم ولكن لايجاوز ايمانهم تراقيهم وهم المراقون من الدين الذين اولهم ذوالخويصره وآخرهم ذوالثديه] وكلهم يقيمون النكير على الامام علي كرم الله وجهه ويتهمونه بامور لايتصورها ذو بصيرة وقلب خال من كدورات الاغيار فالبعض منهم كفره والبعض حلل قتله ومن طالع قصصهم ونزغاتهم الشيطانية واعتقاداتهم الزائغة ومقاصدهم السفيلة يتبرأ الى الله مما يدعونه ويعتقدون به

« قوله الخروج عن السلف » ان كل من طالع التاريخ وجرد الهمة



لمعرفة الامم المخالفة ودقق ما كانوا عليه من اختلاف اعتقاداتهم وامعن النظر في جهة كل منهم على الاخر وما حصل منهم في كل عصر من العصور تجاه الرسل يعلم ويتحقق ان الخلف والشقاق والتفرقه التي حدثت وابتدعها المبتدعون في الاعتقاد بعد السلف الصالح هي عين الاعتقاد والاختلاف والبدع التي كانت في الامم السالفة قبل الاسلام كما اخبر بذلك الصادق المصدوق [لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو [1] القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه] وقال صلى الله عليه وسلم [كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة] ان القرآن الكريم الذي جاء به محمد بن عبد الله القرشي صلى الله عليه وسلم هو الحجة الدامغة على جميع الفرق المخالفة التى حدثت والتي تحدث بعد وان السلف الصالح لم يخرج في سلوكه عنه ولم ينهج الا بما نهج هذا الكتاب العظيم واستغنى به عن كتب وعلوم وقواعد تشوش الاذهان وتحير العقول وتلجأ المطلع عليها الى التأويل لما فيها من تعقيد العبارات المغايرة للآيات البينات وكانوا يستدلون بظاهر الكتاب والسنة والمتشابه المنافي لتنزيه المعبود يوكلونه الى الله تعالى خوف ان يحيد بهم تغافلهم

(١) – القذة ريشة السهم

في التأويل عن القصد لئلا يقعوا فيما وقع فيه الامم قبلهم فيتفرقون شيعا وهذا لم يقنع من دخل في الاسلام من الطوائف التي امتلأت ديانتها بالشبهات فاضطر العلماء ان يعارضوهم بمثل ذلك فدونوا علم الكلام [التوحيد] فافترقت علماء الكلام فرقتين فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب علماء السلف وسموا الجماعة واصحاب الحديث وفرقة اعتزلتها وخالفتها في بعض المسائل ومقدمها واصل ابن عطاء الخطيب وهو الذي قال ان صاحب الكبيرة لامؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لامؤمن ولا كافر وكان في مجلس الحسن البصري لما سأله سائل سمع جماعة يكفرون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر الخ فقبل ان يجيبه الامام حسن البصري رضي الله عنه قال واصل ذلك وقام من المجلس واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما اجاب به علَى جماعة من اصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي من ذال الحين هوواصحابه معتزلة وتابعة على مذهبه عمر وابن عبيد والنظام والنجار وابو الهذيل وهشام ومن تابعهم من المعتزلة والاغرب ليس منهم واحد الاوله مذهب في الدين يدان برأيه وعليه تبع ولوانهم اختلفوا في الفروع او السنن لوجد لهم عذر كعلماء الفقه ولكن اختلفوا في التوحيد وصفات الله

وقدرته ونعيم الجنة وعذاب اهل النار وعذاب البرزخ وفي اللوح وفي غير ذلك ولم يقفوا عند هذا الحد بل حتى ان بعضهم تكلم على جملة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبوا لهم اشياء كثيرة هم منها براء كالكذب والخطا وغير ذلك وحاشا صحابة رسول الله من جميع ما افتروا عليهم به ولكن البغض والعداوة يعميان ويصمان كما ان الهوى يعمي ويصم فيقولون مالا يعلمون ويفتنون الناس ويتهمون غيرهم ولما رأى السلف من اصحاب الحديث توغل المعتزلة بما توغلوا به من علم الله تعالى ومخالفة السنة النقية وما شاهدوه من نصرة ذوي الشوكة والسيطرة لهم كبني امية وجماعة من خلفاء العباسيين وكيف انهم سهلوا لهم الطرق وجلبوا لهم العلوم الفلسفية وحبذوا للناس مطالعتها وادراك معانيها وبدخول هذه العلوم على الاسلام حصل ما حصل من الزيغ والبدع في المسلمين ما الله به عليم فاحتاروا اي اصحاب الحديث في تقرير مذهب السنة والجماعة في المتشابه من القرآن والحديث فاما احمد ابن حنبل وداود ابن علي الاصفهاني وما تابعهم من العلماء الاعلام فانهم سلكوا طريق السلامة احترزا من الزيغ ولم يتعرضوا للتاويل قطعاً لقوله تعالى [فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون

آمنا به كل من عند ربنا] اى آمنا بظاهره وصدقنا بباطنه ولما كثرت العلوم الفلسفية بين افراد الامة الاسلامية كما ذكر واختلط الحابل بالنابل قيض الله لحفظ كيان الكتاب والسنة علماء عاملين فانهم شمروا عن ساعد الجد واعدوا لاهل الزيغ والبدع في الدين مااستطاعو من الحجج الدامغة لتأييدمذهب اهل السنة والجماعة واضطروا لان يؤلفوا كتبا وردوا عليهم فنالوا بذلك منزلة عظيمة عند علماء المسلمين من بعدهم اذ برهنوا للملأ فساد عقائدهم ونواياهم المنحطة وان كتبهم وتآليفهم محترمة الى هذا اليوم تنهج في المسلمين عَلَى منهج اهل السنة والجماعة منهم ابو الحسن الاشعرى على ابن اسماعيل الورع الزاهد العلامة شيخ طريقة اهل السنة والجماعة صاحب المذهب الكلامي الذى طبق الارض بعلومه المنتسب لابى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن نصر مذهبه الفخر الرازى والغزالي والقاضي ابو منصور الماتريدى فجزاهم الله عنا خيرا حيث لولا غيرتهم على الدين والسنة وقيامهم بهذا الواجب لاختلطت علينا العلوم الدينية بالعلوم الفلسفية ووقعنا بهوة لاقرار لها فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين

الدرس الثاني

اوجد الله الحيوان على ظهر هذه الارض مفتقرا للعلم فأوجد معه الحواس الخمس لاكتسابه وهذه الحواس الخمس يشترك بها الانسان وغيره غير انها في الانسان ارقى من باقي الحيوان لمناسبة الحواس الباطنة لها . كل انسان يعلم ان اليدين موضوع فيها قوة تدرك الرطوبة

[قوله الحواس الخمس] ان من يمعن النظر و يدقق عبارات الاستاذ يعجب كثيرا لفرط ذكائه وقريحته السيالة فانه عرف الانسان بالحواس الخمس وميزه على الحيوان المتصف بها ايضا بالحواس الباطنة لها وان هذا البحث الدقيق الذى اورده الاستاذ باجلى بيان هو من العلوم الفلسفية العلية لان الانسان حقيقة يشارك سائر الموجودات في قواه وملكاته وافعاله الطبيعية فانه عدا الحيوان يشارك الانسان ايضا النباتات والجماد والنار والهواء والارض والماء والاجرام العلوية لانها جميعها لها قوى وملكات وافعال . فهذه الصفات يتميز كل موجود من هذه الموجودات عن كل ماسواه والتي اختص الانسان به وترفع عن درجة الحيوانية والاجرام العلوية بافعاله وقواه وملكاته وسمي

والحرارة واللين والصلابة الخ وان الشم يدرك المشمومات والذوق للمذوقات والبصر للمبصرات والسمع للمسموعات ولكن بشرط ان تكون هذه الحواس سليمة فان الذي فقد البصر حين الصغر لايعرف الابيض والاحمر والاخضر والابعاد وغيرها والذي فقد الشم ايضا لايميز الرائحة الطيبة من الكريهة فان كانت هذه الحواس سليمة

انسانا تاما بقوة الفكر والتمييز فلذلك تكلم الاستاذ عن الحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وقابلها بالحواس الباطنة كالخيال والمفكرة والواهمة والحافظة المختصة ذلك بالانسان فقط المكلف تجاه ماوهبه الله تعالى بها بالتكاليف الشرعية [كما قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وحملها الانسان] وضرب مثلا ليقرب من افهام السامعين وشبه القوة المفكرة برجل له حافظ . فإذاً الانسان له فعل خاص به لايشاركه فيه غيره من الموجودات الذي مر ذكرها وهو القوة المميزة وهو الذي نسميه العقل لانه كل من كان تمييزه اصح ورويته اصدق واختياره افضل كان اكمل في الانسانية من غيره كما انه يفضل غير الانسان على غيره وان كان عمل كل واحد خاصا به مثلا فان السيف والمنشار لهما عملان لكن الافضل منهما ما كان امضى وانضر والفرس

اكتسب بها الانسان المعلومات الواقعة تحت الحس ان استعملها في النافع . هذه الحواس وسائل للحواس الباطنة التي نسميها الحس المشترك والخيال والمفكرة والواهمة والحافظة التي كونت بحكمة الهيئة في الدماغ مما يدل على قدرة الصانع وتوحيده في مصنوعاته نضرب لكم مثلا ليقرب هذا القول من افهامكم وذلك ان القوة المفكرة شبهت

والبازي وسائر الحيوانات فان افضل الافراس ما كان سريع الحركة والتيقظ لما يحبه الفارس، له اذاً فافضل الناس من كان اقدر على افعاله من غيره واشد تمسكا بشرائط جوهر عقله الذى تميز به عن الموجودات ويجب ان يسعى به بارادته وسعيه لعمل الخير الذى وجد الانسان له ولاجله خلق . وكذلك الشر هو الذى يواخر الانسان عن فعل الخير بارادته وسعيه او كسله فاذا لم يستعمل الانسان حافظته في افضليات الامور ولم يتطلب الاعمال الحسنة ولم يسر على طريقة مرضية يحسنها النقل والعقل عد في هذه الحياة كسقط المتاع وزلت به قدمه واصبح كالفرس المحترمة اذا لم تسابق الافراس المعدودة في قوة الجرى والطباع الحسنة فانه يسقط وتنزل مرتبته عن مرتبة سائر انواع جنسه و بعد ان يكون محبوبا ممتعا بالرفاهية مخدوما يصبح لاقيمة له ولا وزن ويستخدم بالامور الشاقة و يضرب بآلة تدمي جوانبه بدلا من اكرامه ومسح

برجل له حافظ خزانة و بريد وجواسيس وعبيد آخرون موظفون فالحواس الظاهرة هي كالجواسيس تلفظ الاشياء الواقعة تحت الحس فتعطيها لصاحب البريد وهو القوة المخيلة فتعطيها للمفكرة المشبهة بالرجل ذى الخدم الموظفين فتاخذ المفكرة هذه الاشياء وتسقط منها

جبهته والاحترام له بما يليق به من المواساة له ولذلك وصفه الاستاذ بقوله [فاذا ضر فيها اي الحواس الخمس للمنكرات والامور الساقطة الحق في درجة الحيوانات واذا استعملها في تناول العلوم سمي عالما الى ان قال ان هذه الحواس من اعظم الادلة على حالة البعث والنشور وسؤال الانسان عن كل شيء واورد دليلا كل انسان يدركه بحال غيبوبته في النوم وانه وايم الحق لدليل يسلم به كل من به ذرة من العقل منصف ينقاد للامور المتحققة للعيان مع ان جميع العلماء والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين يثبتون حالة البعث والنشور الا ماندر ممن اعمت بصائرهم الاهواء واستهوى على افئدتهم حب رفع التكاليف السماوية ورضوا ان يكونوا مطلقين في الاعمال كالبهائم التي لاعقل لها يردع ولاضمير يطالبها باتباع الانفع كما قال حكيم المعرة [زعم المنجم والطبيب كلاهما ان لامعاد فقلت ذاك اليكما] ان صح قولكما فلست بخاسر] اوصح قولي فالوبال عليكما] وان الادلة التي جاء بها الرسل الكرام على البعث

الرديء وتسلم الطيب الصافي الى صاحب الخزانة وهو الحافظ الى حين اللزوم فاذا هم هذا الرجل مثلا بشيء ارسل الى الترجمان وهو اللسان او حرك الرجلين للسعي واليدين للبطش والعمل قدرة للبارى عزوجل اودعها في هذا الانسان ليكون مدار التكليف عليها فاذا صرفها للمنكرات والامور الساقطة ألحق في درجة الحيوانات واذا استعملها في

والنشور هي الموصلة للانسان الكامل لارقى درجات الفضائل ومن لم يوءمن بها ويسلم ويصدق لهو المنحط في الكماليات وهو الناقص من جهة الحواس الموهوبة له فان كثيرا من الناس قد دخلت على اذهانهم الوهميات من بعض المنكرين للحقائق المطموسة قلوبهم والمختوم على اسماعهم وابصارهم بغشاوة من سوء نواياهم فهم لا يضرون وقد حسن لديهم انكار البعث والنشور محبذين على اعتقادهم هذا المسلك الموهوم والعياذ بالله تعالى وهم لو عقلوا وتدبروا مانشاهده اليوم من الاختراعات الحديثة التي هي لو ذكرت لنا ولم نشاهدها عيانا لما دخلت في اذهاننا حقيقتها وكنا كذبناها دفعة واحدة منها الصندوق [الفونغراف] الذى يحفظ الصوت ولا يخفى حرف واحد منه ولو بعد حين ان هذا الاختراع العظيم الذي هو يمثل لنا ان جميع ما يتكلم الانسان تجاهه يحفظه ويلقيه على مدى الايام والعصور وهو صنع صانع مصنوع

تناول العلوم سمي عالما واذا رقى بها للاعلى ونزهها عـن الكدورات الدنيوية فجعلها قريبة من اتصالاتها العلوية عد في عداد الصالحـين التاركين الملاذ الدنيوية الهائمين في سبيل الصفآء وحب العالم العلوى وأولئك يسمون الاولياء اما الاشخاص الراقون جداً المتصلون بعـالم

فكيف بواجب الوجود سبحانه وتعالى باريء النسم وموجدالموجودات من العدم فهل يعجزه بعد هذه الحياة ان يبعثها مرة اخرى كما وعد حاشا وكلا انه القادر على كل شيء وان كره المنكرون

[قوله ان يكون الخبر متواترا] ان هذا العلم الشريف الذي اشار اليه ضمنا الاستاذ بسياق درسه هو المقدم على سائر العلوم بعـد معرفة علم الكلام وهو الحجة الدامغة للعارفين والمجتهدين من الائمة الاعلام وهو علم اول قائم في جمعه وتدوينه الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموى ثم حض بعده الخليفة العباسي ابو جعفر واولاده العلماء على تدوينه بدقة فدون الامام مالك من ذاك الحين موطأة في الحديث وقد رغبت الناس في طلب الحديث فوضع الزنادقة واليهود وهم الدخلاء بالدين الاسلامي كثيرا من الاحاديث فتجرد لها الائمة الاعـلام المحدثون وبينوا الصحيح من الفاسد كالامام العالم اسحق بن رهويه والامام محمد بن اسماعيل البخاري والامام احمد بن حنبل واصحاب

البشر من جهة الحواس الظاهرة وبعالم الملك من جهة الحواس الباطنة فأولئك الرسل عليهم السلام فان منازلهم لاتنال بالوسائل بل بالخصوصات الآلهية منالها وبصاحب الرسالة العظمى ختامها ذكرنا لكم الحواس الباطنة لتعلموا ان الانسان عالم كبير وان كان جرما صغيراً ولتعلموا ان هذه الحواس من اعظم الادلة على حالة البعث والنشور

الكتب الستة الصحاح وهم الترمذي وابوا داود والنسائي وابن ماجة وصار علم الحديث مدونا بعد ما كان يتلقى من صدور الرجال وكان كثير من اعظم صحابة الرسول واهل خاصته صلى الله عليه وسلم كابي بكر والزبير وابي عبيده والعباس ابن عبد المطلب يقلون الروايةوكان بعضهم ايضا لايكاد يروي شيئا كسعيد ابن زيد بن عمروابن نفيل احد العشرة المبشرين بالجنة وكان علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه اذا سمع حديثا استحلف محدثه فان حلف له صدقه وكذا عمر ابن الخطاب كان لايقبل حديثاً الابالاثبات والبينةوقد شددالصحابة كثيراً في الحديث وتوقوا التحريف والزيادة والنقص لقولهصلى الله عليهوسلم [من كذب عليّ فليتبوء مقعدهمن النار وروي متعمدا] وان الصحابة رضي الله عنهم كان بعضهم يشتغل بالتجارة والبعض يلزمون الضباع وكان ممن لازم الرسول الاعظم ابو هريره فانه خدمه مدة حياته

وسؤال الانسان عن كل شيء وذلك لدليل ظاهر بالمشاهدة الاترون
النائم الذي تعطلت حواسه بواسطة النوم يعذب حينا وحينا ينعم وقد
يكون العذاب شديدا والتنعم ايضا بالغا النهاية ونحن جالسون حوله
ولا نشعر به فاذا انتبه من نومه حدثنا عن اشياء عجيبة و يقول رأيت

و كان فقيرا معدما ففاز بصحبته ولم يفارقه كغيره لتعاطي شؤون الحياة
فعرف مالم يعرفوا وحفظ مالم يحفظوا وعنه اخذ رواة الحديث اغلب
مادونوه في كتب الحديث ومن اهم علوم الحديث واصعبها معرفة
الناسخ منه والمنسوخ قال الزهري اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه و كان الشافعي
رضي الله عنه له قدم راسخة فيه ولعلماء الحديث الفاظ اصطلحوا على
وضعها مرتبة ليرجع اليها طلاب هذا الفن مثل الصحيح والحسن
والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغيرذلك من
القابه المتداولة في الكتب و بوبوا ابوابا لكل واحد منها وفي عصر
السلف من الصحابة والتابعين كانت احوال نقلة الحديث معروفة
لديهم كالحجازيين والبصريين والكوفيين من العراق ومنهم بالشام
ومصر وان جميع مادون في علم الحديث يرجع الى الكتب الصحاح
الستة التي مر ذكرها وقد انقطع من عهد قديم تخريج شيء من الاحاديث

في نومي وقلت وقيل لي فاذا كان يعذب وينعم ويبكي ويضحك
وهو حذائنا ولا نشعر به فهل حساب الميت حين مفارقة الروح او
بعد دفنه يعد بعيدا معاذالله ان يقول ذلك ذو عقل سليم وقد رأينا
حالة النائم وما يقاسي ولا حركة له ولا صنع ربما رأى النائم الرؤيا
فتقع بعد مدة فهل يعد ذلك غيبا او كيف حقيقته ان حقيقة الرؤيا

واستدراكها على المتقدمين لان المتقدمين لم يغفلوا ولم يتركوه حتى يعثر
عليه المتأخرون وان الواجب اليوم على العلماء ان يعتنوا بضبط الرواية
وتصحيح امهات الكتب والتوفيق بين الفرق الاسلامية فانه مثلما
تفرقت الفرق التي تكلمنا عليها اول الكتاب بتأويل آيات القرآن
وحمل معانيها على مايوافق كل فرقة من الفرق المذكورة حتى انه
كذلك تعلق كل فريق لمذهبه بجنس الحديث واكفر بعضهم بعضا
ووقع الاختلاف والقيت العداوة بينهم وكثرت النحل واحتج كل
فريق بروايات تناسب مشربه ومعتقده كالرافضة مثلا تتعلق في
تكفير الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بقول الرسول الاعظم صلى
الله عليه وسلم [ليردن على الحوض اقوام ثم ليختاجن [اى يجذبون
يقتطعون] دوني فأقول اى ربي اصيحابي اصيحابي فيقول انك لاتدرى
ماحدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم] ولا

تكون بهذه المشاعر الباطنة التي هي في الحقيقة كوان الروح الى العالم العلوي فتبصر منها ما سيقع فينتبه الانسان وقد وعى او نسي ما رأى على حسب استعداد هذه الحواس ومن هنا يفهم معنى الحديث المفيد [ان الرؤيا جزأ من ستة وار بعين جزوءا من النبوة] تلك الحواس الباطنة تستفيد من حاسة السمع ما تستفيده من غيرها بخصوص نقل العلوم والاخبار عن الحوادث النائية ولكن بشرط ان يكون الخبر متواترا او مشهورا او مستندا الى الحسن والا فان الاخبار التى ترد الينا قد وجد فيها الغث والسمين والعاطل والصحيح سيما ما يخص الدين الاسلامي فانه قد اندس في جماعة الاسلام من ليس منهم واظهر الورع والزهد

ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و يقدمون ابا الحسن الامام على كرم الله وجهه في حديث [انت مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لانبي بعدى] [ومن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه] وانت وصيي وغيرهم يقدمون الشيخين رضي الله عنهما للحديث [اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر] و يابي الله ورسوله والمسلمون الا ابا بكر [وخير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر] وعلى هذا المنوال جميع الفرق الذى تفرقت من دين واحد كل فرقة منها تحتج على الاخرى بالدليل القاطع عند اعتقادها به قال الله تعالى في

بقصد القاء المفاسد والمضار ولهذا قام علماء الدين يبينون الحديث الصحيح من الموضوع والباطل من المرفوع فهذه يجب التنبيه لها

كتابه المبين [كل حزب لما لديهم فرحون] والهادى هو الله تعالى واليه ترجعون

الدرس الثالث

لله سبحانه وجل جلاله صفات يفترض علينا اعتقاد حقيقتها كما يفترض علينا اعتقاد وجود واهب الوجود لهذه الكائنات دلنا على هذه الصفات النقل والعقل نجد في النقليات انه تعالى سميع بصير عليم حي ونلجأ الى العقل فيقرر لنا ان واحدا احدا موجد لهذا التركيب البديع لابد وان يكون موصوفا بهذه الصفات مغايرة لصفاتنا قال اصحابنا ان هذه الصفات ازلية لانها لايجوز عليها الحدوث لامور شتى وقال اناس انتسبوا للاسلام انها محدثة بحدوث متعلقاتها ولا يزال حدوثها يتجدد

[قوله لله سبحانه وجل جلاله صفات] ان هذا البحث الذي قرره الاستاذ هو بحث يجب الانتباه له لانه يتحتم على كل مسلم ومسلمة ان يعتقدا ويؤمنا ايمانا كاملا كما قرره هو من معنى الصفات التي توقف

كما حدث امر في الكائنات . اعتقاد ليس الا دخيلا في الدين قصدوا
به تشويش الاعتقاد والحاق النقائص بضيض الحياة اذا كانت محدثة
فمن كان احدثها هل هو احدثها لذاته وقبل حدوثها ماذا نصفه ومتعلقات
هذه الصفاة اين كانت و كيف وجدت لهذا نقول انها ازلية لا محدثه
ولكنها ليست غير الذات ولا عين الذات بمعنى ان الذات عالمة بنسبة
تعلق العلم لها وقادرة بنسبة التعلق وهكذا من الاقوال التي يأباها
اعتقادنا المجمع عليه . ربما يخيل للسامع ان اعتقاد الصفات ليست ذاتا
ولا غيرا مما يستغرب او يأباه العقل فنقول لو فكر الانسان في صفات

بها السلف بلا تأويل ولا تحويل وهي صفات الله العلي الازلية التي
هي غير صفاتنا المعروفه بمقتضى العقل اذ ان الله ليس كمثله شيء فلا
يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها وان ماورد من الصفاة
المتشابهات نكل معناها الى الله تعالى فهذا هو الطريق الاسلم لانه كما
ذكرنا في غير هذا البحث من انه كما تفرقت الامم السالفة باعتقاداتها
ومشاربها كذلك المسلمون تفرقوا شيعا لكون البعض من العلماء انحازوا
عن طريق مذهب السلف وحبب لديهم مطالعة الكتب الفلسفية
فاختلط عليهم الامر وغاصوا في بحور المسائل العويصة وسلكوا مسلكا
مشوبا في زيغ المعتقدات والحقائق الراهنة لذلك كان اكثر اهل

نفسه سهل عليه ذلك اذ نعلم ان لنا علما وقدرة وحياة وغيرها ولا نقول انها عين ذاتنا اوغير ذاتنا كما اننا لانقول انها موجوده قبل وجود صاحبها قامت شرذمة في سجستان تسمى الكرامية نسبة لمحمد ابن كرام تتلاعب بالصفاة وتقول ان الباري تعالى لايقدر على اعدام جسم بحال وانـه موصوف باسمائه المشتقة من افعاله وانه لم يزل خالقا رازقا برازقية فيه وهذه الخالقية قدرته على الخلق والرازقية مثلا والقدرة قديمة والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته وانه لايخلو من حلول الحوادث بذاته . وقام الفخر الرازي صاحب التفسير بنقض مزاعم هذه الفرقة ويباحثهم

السلف الصالح يثبتون لله تعالى صفات ازلية كالعلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلالة والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل وقد سموا بذلك صفاتيه يقابلهم المعطلة وهم المعتزلة المار ذكرهم بغير هـذا البحث الذى ينفون الصفات ومن هنا اختلفت الاراء وتشوشت الافكار وحارت الالباب وكثر الاخذ والرد بين العلماء الاعلام فمنهم من هدى الله ومنهم من ضل عن الطريق القويم كالشيعة فانهم وقعوا في هوة الغلو والتقصير فالغلو تشبيههم بعض ائمتهم بالاله تعالى وتقدس والتقصير تشبيه الاله بواحد من الخلق ثم لما ظهرت المعتزلة والمتكلمون من

ويناظرهم فكان رئيسهم يصعد المنبر ويبكي تشكيا من الفخر لانه محفوظ
من شرهم بقوة السلطان ينتقد اناس الان وفيما قبل تفسير الفخر وانه
محشو بالرد والنقد ولو فكر الناقد في ان حياة الفخر كلها مباحث مع
الفرق لما انتقد عليه بشيء . ومن الفرق فرقة تقول بان الصفات عين
الذات خشية تعدد القدماء ان لو كانت غيرا وما علموا ان هذا القول
ينفي وجود الصفات الذاتية الادلة على الصفات نقلية وعقلية فالنقلية
لا يجهلها من ينسب الى الدين والعقلية يدركها المتأمل في مصنوعات
الباري جل شأنه فمن الصفات صفة العلم ومعرفتها بالدليل النقلي

السلف رجعت عن اعتقادها وتبعت المعتزلة وكادت تروج بين الناس
بضاعتهم وزخرفوا العبارات لارباب العقول القاصرة فتبعهم من تبعهم
من اهل السيطرة والشوكة بذالك الحين فتعرض فرقة السلف للتأويل
والتفسير الظاهر فوقعت في التشبيه من حيث لا تدري والذين لم
يتعرضوا للتأويل منهم مالك ابن انس رضي الله عنه [اذقال الاستواء
معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة] واحمد
ابن حنبل وسفيان وداود الاصفهاني ومن تبع طريقهم ودام هذا الى
زمن عبد الله بن سعيد الكلابي وابي العباس القلانسي والحارس ابن
اسد المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف ايضا ولكنهم ايدوا

الايات والاحاديث الشريفة و بالعقل ترتيب هذا الكون كونه مركبا
على نظام عجز النوع البشري عن معرفة حقيقة ذرة من متعلقات العلم
الازلي فيجهد الانسان نفسه وتذهب حياته وما اوتي من العلم الاقليلا
اي وربك مااوتي من العلم الا قطرة من غيث او نقطة من بحر كما
قال الفخر الرازي [ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا] سوى ان جمعنا
فيه قيل وقالوا] كل هذه المباحث والمؤلفات والمخترعات والتوصل
الى مالم يصل اليه العلماء السالفون لم يكن ليشفي غليلا في
معرفة حقيقة ذرة من ذرات هذا الوجود الذي حير العقول واعجز
العموم حتى قال بعضهم

عقائد السلف بحجج دامغة و براهين ساطعة وممن ايد كلامهم الامام
الاشعري وصار من ذاك الحين مذهبهم مذهبا لاهل السنة والجماعة
وسموا الصفاتية وان كلام فرق المعتزلة المتباين والذي لو اردنا بسطه
في هذا الكتاب لاحتجنا الى كثير من الكتابة في هذا الموضوع ومن
يطالع تفسير العالم العلامة الفخر الرازى ومن سار على طريقته المرضية
لكفاه ولو ان علماء المسلمين وقفوا عند الحد الوسط واقتدوابسير السلف
وهجروا النزغات وغلبوا على امرهم حين ادخل عليهم الدخلاء في الدين
مباحث يحظرها الدين على ذوي الافكار السامية لئلا يحصل ماحصل

[ماللتراب وللعلوم وانما نسعى لنعلم اننا لانعلم]

وما اغرب مايقوله البعض من ان واجب الوجود يعلم علما يتجدد بتجدد الحوادث والوقائع ولم يعلم ذلك القائل انه لايعلم مايقول وما ادراه بذلك والادلة المنصوبة والاشارات الموضوعة والاعلام الظاهرة تشير الى معترك العقول بان العلم ازلي بما كان وما هو كائن وماسيكون ولاتبدو حركة ولا تتحرك ذرة ولا يكون شيء الا بعلم من لدن العالم الحقيقي والمبدع الاحد وانما الذي يذهب بالانسان المذاهب المتعددة هو قياس الاشياء على ذات المباحث قياسا مع الفارق ولكن اين الشعور من التفرقة والبغضاء والتعصب لان النفس امارة بالسوء وعقول البشر تتفاوت لكن لله تعالى في خلقه شؤون ولامرد لما قضاه اوجد هذا الوجود البديع على نظام تام وقدر ما كان وما سيكون واودع في ادمغة العالم الانساني جوهر العقل ومنحه ملكة يميز بها الخير والشر وعلمه مالم يكن يعلم ولا يسأل عما يفعل وهم يسئلون عما يفعلون فلو تدبر الانسان وتمعن في هذه الحياة التي هي متاع الغرور لوقف عند حده ولمابحث وتكلم بابحاث لايقدر ان يتخلص منها حيث ان صحابة رسول الله والتابعين المشمولين بنظر الصادق المصدوق وقفوا ولم يدخلوا على اعتقاداتهم نزعات شيطانية وتلقوا الدين بقلب خال من الكدورات والامراض

ما اعجب حال شخص خلق في بيت صغير لا باب له ولا شباك حتى اذا بلغ مبلغ الرجال اراد ان يصف احوال الموجودات مثلا وهو لم يرمنها شيئا لانه لم يخرج من هذا البيت من حين وجوده على سطح الارض ولا اجتمع ببشر يصف له الاشياء الا تخيلات وتحكم هذا الانسان الذى نشأ في هذا الفضاء ورأى الاشياء المحسوسة يريد ان يتحكم بما لا يعلم ويقيس القياسات الفارغة مع الحقيقة .

التي يداويها الانسان بالتصديق والتسليم لما جاءت به الرسل الكرام من الوحي السماوي المنزه عن كلام المخلوقين والمقدس عن ترهات الفلسفة والخوض فيما وراء العقل والا فما معنى قول القائلين بأقوال تحاشاها العقلاء كما اشار لهم الاستاذ في درسه كالكراميه وغيرهم من الفرق التي شذت عن مذهب السلف فالكرامية شرذمة قامت في سجستان وهم اصحاب ابي عبد الله محمد ابن كرام فانه كان يثبت الصفات الا انه انتهى بها للتجسيم والتشبيه والكرامية اثنا عشر فرقة اما اصولها فستة وهم العابدية والنونية والزرنية والاسحاقية والواحدية والهيصمية ولكل فرقة منهم رأى ينسب اليها بالصفات وهم في مذهبهم هذا كالانعام بل اضل سبيلا ومن اطلع على اقوالهم لم يقم لهم وزنا ولم يرض ان يذكرهم بين العلماء ومن كلام محمد ابن كرام في كتابه المسمى

ان الانسان لو انصف لما كان يتعذب في معترك هذه الحياة ولما كان يلقي نفسه في وهدة الحيرة والارتباك والامن اين له معرفة بذات موجد الوجود وخالق الخلق الذي تعزز بالربوبية وليس كمثله شيء . مسكين ايها الانسان انت لا تدري حقيقة نفسك فكيف تبحث عن اشياء ولا هي في الحقيقة شيء . الم تعلم ان في هذا البحث قد تاهت الافهام وضلت الاوهام وزلقت اقدام الفلاسفة الاولين وعجزت عن ادراك الباري تعالى عقول الحكماء والعظماء

عذاب القبر ان الله احدى الذات احد الجوهر وانه مماس للعرش من الصفحة العليا في جوز الانتقال والتحول والنزول وقال انه معبوده على العرش استقرارا وانه بجهة فوق ذاتا واطلق عليه اسم الجوهر وقال بعض اهل الفرق امتلأ العرش به والمتأخرون منهم يقولون انه تعالى بجهة فوق ومحاز للعرش وان اغلب هذه الفرق اطلق لفظ الجسم عليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقد خبطوا في ارائهم ومعتقداتهم في ذات الله تعالى خبط عشواء وقد دخل عليهم الشكوك وتشوشت افكارهم وخبط عقولهم اقوال الفلاسفة القدماء فوصلوا الى ماوصلوا اليه من الحيرة والاغيار فسودوا صفحات الكتب بالاخذ والرد الذى لايجدي القارئ نفعا وقد صدق القائل [العلم نقطة كثرة الجاهلون

تاه الانام بسكرهم	فلذ لك صاحي القوم عربد
تالله ليس الانبيا	ء ولاالو الرأي المسدد
كلا ولا جبريل وهو	الى محل القدس يصعد
علموا ولا النفس البس	يطة لاولا العقل المجرد
عن كنه ذاتك غير انك	اوحدي الذات سرمد
فلتخسأ الحكماء عن	حرم له الاملاك سجد
من انت يارسطو ومن	افلاط قبلك يامبلد
ومن ابن سينا حين هذ	ب مايقول به وشيد
ما انتموا الا الفراش	رأى السراج وقد توقد
فدنى فاحرق نفسه	ولواهتدى رشداً لابعد

كثيرا من مخلوقات الله تعالى التي نشاهدها الان والتى علمها سبحانه لعباده لاتقدر ارباب العقول وذو الافكار الساميات ان تعرف كنه حقيقتها كالقوة المتولدة من الآلة [الكهربائي] مع كثرة البحث والتنقيب عن هيئتها لم تتوصل العقول ولم تفهم معرفتها وهي نقطة من بحر المخلوقات في هذا الكون المملوء بالغرائب والعجائب التي حارت بها افكار المفكرين وهي صنع الخالق المنزه عن الشبيه والنظير سبحانه وتعالى اليه يرجع الامر كله وهو اعلم بما كان وماسيكون

الدرس الرابع

نعتقد صفة لله تعالى هي القدرة التي لا تتناهى ولا يفنى متعلقها وان خالف في ذلك الهزلية من المعتزلة فقالوا بان المقدورات تفنى حتى يبقى المعذبون في سكون دائم والمنعمون في سكون دائم .

كل صفة من صفات الباري لها دليلان النقل والعقل فالنقل من الكتاب والسنة والعقل وجود متعلقات الصفة ظاهرة محسوسة فكل شيء في الوجود دليل على قدرة الواحد الاحد جل شانه ومن الصفات المقررة شرعا صفة الكلام التي وضع فن الكلام

[قوله وان خالف في ذلك الهزيلية] الهزيلية هم اصحاب ابي الهزيل العلاف وهو شيخ المعتزلة ومقدم هذه الطائفة وهو المقرر لهذه الطريقة والمناظر عليها قد اخذ الاعتزال عن عثمان ابن خالد الطويل عن واصل ابن عطاء وقد اقتبس من علوم الفلاسفة قواعد انفرد بها عن اصحابه المعتزلة منها ان الباري تعالى عالم يعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحيوة وحياته ذاته وهذه من معتقدات الفلاسفة ايضاً وقد اثبت ابو الهذيل هذه الصفات وجودها

على بعض الاقوال من اجلها . صفة الكلام كان لاعتقادها شان
عظيم في ازمنة بعض الخلفاء العباسيين ولنقم اولا دليلا على حقيقتها
وكيف يجب اعتقادها . نحن نعتقد ان لله صفة الكلام
ولكن لا عن حروف واصوات ولسان وشفتين ورئة ومخرج لان
ذلك من صفات الحدوث . نعتقد في ان هذه الصفة نفسية قائمة
بذات المبدع وايصالها الى البشر بواسطة الرسل . تُلي علينا القرآن
الكريم كما تلي على من قبلنا انا نجد من انفسنا ان النائم يرى في
الرؤيا شخصا كانه يكلمه فيفهم منه اشياء ثم ينتبه فيقول قيل
لي كذا من غير ان ينطق القائل بكلمة . يقول أُلقي الي ان افعل
وان سيكون وان الامر كذا ولكن من غير ان اسمع متكلما هذا

للذات وهي امثال معتقدات النصارى ومن يطالع اقوال المعتزلة
يرى اقوالا تناقض بعضها بعضاً كالسائر في ديجور من العماء فكيف
يهتدي للطريق القويم وهو تائه متهور لا يقر له قرار نعوذ بالله
تعالى من ذلك ونساله الحماية من الزيغ والطيش لان معتقدات
الامم الماضية واقوالهم قد سرت بعروقهم وانطبعت في ادمغتهم
بجميع ما اعتقدته الامم من الاضاليل والبدع المخالفة للرسل كذلك
فرق المعتزلة لم يتركوا نزغة من نزغاتهم الا واعتقدوا بها وجادلوا

وان كل كتاب الفه صاحبه بقلمه فهو دال على المعنى الذي قصده المؤلف وكل انسان يقول هذا كلام فلان. فالقرآن مكتوب بمصاحفنا مقروء بالسنتنا محفوظ بصدورنا مسموع بآذاننا غير حال فيها . وصفة الكلام من جملة الصفات الازلية التي هي لا عين الذات ولا غيرها كما ذكرنا سابقا . قرأ المامون العباسي على مشايخ المعتزلة كابي الهذيل واحزابه وأشربت نفسه حب الاعتزال فكان يظهر عليه سيما المخالفة ولحظ ذلك منه الفضيل ابن عياض فكان يتمنى بقاء الرشيد خليفة خوفا من تمخرق المامون ولكن الامر ما عتم ان وصل الى يده فاظهر اعتقاده وتطلعت روؤس المنافقين ونهضت المعتزلة بجد ونشاط لتايد الاعتقاد الذي درجت عليه

جدالا احوج العلماء للردود الطائلة عليهم وقد قويت شوكة المعتزلة بزمن المامون حين قرأ على مشايخ المعتزلة كابي الهذيل المقدم ذكره ومن على شاكلته فحملوا المامون على استئصال شأفة اهل السنة والجماعة وخدعوه بالحجج والبراهين بانهم على الحق فيما يعتقدون من ان القرآن مخلوق فكتب الى عامله ببغداد اسحق ابن ابراهيم ان يمتحن القضاة والشهود وجميع اهل العلم بالقرآن فمن اقر انه مخلوق محدث خلى سبيله ومن ابى يعلمه به ليرى فيه رايه فجمع اولي العلم

وقررته وتبعها الجم الغفير كان المامون في مدة خلافته يظهر القول بخلق القرآن ويقيم الحجة الفلسفية بدون ان يقسر احداً على اعتقاده نظراً لما يكتنفه من علماء الاعتزال ودام هذا الحال الى ان بقي في مدة حياته سنة واحدة اوعز الى وكيله في بغداد وكان هو خارجا عنها ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن فمن اجاب نجا ومن ابى قطع عنقه وراجت هذه الفتنة وقام سوقها وابتليت العلماء هذا بالجلد وهذ بالسجن وهذا بقطع العنق وكذا محنة ابتلى بها المسلمون ولا محنة الا اذا كانت الحكومة العظمى هي القائمة بها مسئلة القول بخلق القرآن كانت على نوعين النوع الواحد اعتقاد ان القرآن محدث احدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما

الذين كانوا ببغداد منهم قاضي القضاة بشير ابن الوليد الكندي ومقاتل واحمد ابن حنبل وقتيبه وعلي ابن الجعد وغيرهم وقرأ عليهم كتاب المامون ثم قال لبشر بن الوليد ما تقول في القرآن فقال بشر القرآن كلام الله قال لم اسالك عن هذا امخلوق هو قال الله خالق كل شيء قال والقرآن شيء قال نعم قال مخلوق هو قال ليس بخالق قال ليس عن هذا اسالك امخلوق هو قال ما احسن غير ما قلت لك فقال اسحق للكاتب اكتب ما قال ثم سأل غيره وغيره فيجيبون

احدث المولود بعد عدمه وهذا القول كان يروج على العامة فيقولون بهذا القول . والنوع الثاني قصد به ان القرآن غير منزل وهـذا النوع لم يبح به للعامة خيفة من تحول الحال والتفاهم بعكس مايرغب المفسدون قصد اكثر الذين يقولون بخلق القرآن ان يجعلوه مخلوقا يعني غير منزل ليجعلوه من كلام صاحب الرسالة فيتوصلون به لما يبتغون ومال المامون الى اعتقاد النوع الاول لخفاء المقصود عليه ولم يعلم مقصود القائلين به ولاي شيء يؤدي .. بدعة ابتدعها الدخلاء بالدين بقصد تشويش الحقائق والحاق المضار واسناد ما يهدم الدين الى الدين نعوذ بالله من هذه الاعتقادات الفاسدة .. زال المامون من عالم الوجود فكان بعده المعتصم معتقداً اعتقاده قائلا بقوله

قريبا مما اجاب به بشر ثم قال لاحمد بن حنبل ما تقول في القرآن قال كلام الله قال امخلوق هو قال كلام الله ما ازيد عليها ثم قال له ما معنى قوله سميع بصير قال احمد هو كما وصف نفسه قال فمـا معناه قال لا ادري هو كما وصف نفسه ثم سال قتيبة وعبيد الله بن محمـد وعبد المنعم بن ادريس ابن بنت وهب بن منبه وجماعة معهم فاجابوا ان القرآن مجعول لقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا والقرآن محدث لقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث قال اسحق فالمجعول

داعيا الناس الى هذا القول بكل شدة وعنف جيء اليه بالامام احمد ابن حنبل فابى . ذاق الامام احمد ابن حنبل في سجنه كل اهانة من الشتم والضرب حتى ان شُدت يداه بحبل الى ظهره فانخلعتا وضُرب بالارض وجيء بالجند فجعل كل جندي يضرب به سوطين ويتاخر وبقي في السجن الى ما شاء الله قصد ابن ابي داود الذى كان يباحث الناس في خلق القرآن زمن المعتصم ان يقول الامام احمد بهذا القول ليجمع الناس عليه فعلم بذلك الامام فامتنع ولم يستعمل التورية والحيلة خشية ان لا تفهم العامة فيعتقدوا بالقول المضر . . وطأة شديدة ومحنة عظيمة لم يخففها نوعاً ما الا عالم جيء به للمعتصم فباحثه ابن ابي داود فقال اعتقد ان القرآن مخلوق قال الشيخ هل علم ذلك النبي وابو بكر وعمر وعثمان وعلي ام لم

مخلوق قالوا نعم قال فالقرآن مخلوق قالوا لا نقول مخلوق ولكن مجعول فكتب مقالتهم ومقالة غيرهم رجلا رجلا ووجهت الى المامون فورد الجواب ان يحضر قاضي القضاة بشر بن الوليد وابراهيم ابن المهدي فان قالا بخلق القرآن والا فاضرب اعناقهما واما من سواهما فمن لم يقل بخلق القرآن يوثقه بالحديد ويحمله اليه فجمعهم اسحق وعرض عليهم ما امر به المامون فقال بشر وابراهيم وجميع الذين احضروا

يعلموه قال ابن ابي داود لم يعلموه قال الشيخ يالكع شيء لم يعلمه محمد [صلعم] وابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وتعلمه انت فجعل المعتصم يضحك من ابن ابي داود لانقطاع حجته . قال ابن ابي داود علموه قال الشيخ فهل كتموه ام اذاعوه قال بل كتموه قال الا وسعك ما وسعهم فانقطع ابن ابى داود وخفت وطأة الفتنة ولكن بقيت حتى زال المعتصم وجاء الواثق ودامت في مدة الوثق كلها الى ان جاء المتوكل فازالها بتاتا لانه كان يكرهها جداً لامور لا نذكرها الآن لعدم فائدتها ومن حينئذ قطعت هذه المباحثات ورجحت مقاصد اهل السنة فلهذا اضطر العلماء لوضع الادلة العقلية والنقلية لرد الشبهة التي طرات فامتلئت الكتب ردوداً . ولما لم يجد بعض الهادمين لاركان هذا الدين من سبيل الى الاضلال لكثرة الردود الصادقة دخلوا من باب الصلاح والولاية والفوا كتبا عديدة ظاهرها الرحمة وباطنها الضلال وزخرفوا العبارات المموهة

لذلك بخلق القرآن الا اربعة نفر وهم احمد ابن حنبل والقواريري وسجاده ومحمد بن نوح المصروب فانهم لم يقولوا بخلق القرآن فامر بهم اسحق فشدوا في الحديد ثم سالهم ثانيا فاجاب سجاده والقواريري الي القول بخلق القرآن فاطلقهما واصر احمد ابن حنبل

على افكار البعض وجاؤا بكلمات تشوش الافكار ولا يفهمها الباحث ولا يقبلهـا العقل والنقل ولم يكتفوا بذلك حتى دونوا لهم مواضيع يرفضها الشرع ويبرأ منها الاسلام الحقيقي ومع هذا كله لو دقق العاقل النظر فيها يجد حشوها الاحاديث الموضوعة والحكايات الغريبة المنكره اختلقها قوم صارت لهم اعوان وجنود وتقربوا لدى السلاطين والملوك وغلوا في سيرهم حتى كادت دعائم هذا الدين ان تتهدم لولا انه محفوظ من الازل بعناية الواحد الاحد الفرد الصمد. مضت مدة ليست قليلة والعلماء تنكر عليهم وتؤلف المؤلفات المفيدة للمسـلمين تارة خفية وطورا جهارا وهم تزداد قوتهم وتعظم جنودهم تجاه اظهار الحقائق وهذا لاينكره كل من سبر الكتب ومارس العلوم العقلية والنقلية وكان ذلك الى زماننا هـذا ونير الفكر لا يقدر ان يتجاوز بكلمة الحق او لا تساعده الظروف بان يرد على اولئك

ومحمد ابن نوح المضروب على قولهما فوجههما الى طرسوس فلما ساروا الى الرقة بلغهم موت المامون فرجعوا الى بغداد الى ان كان ما وضحه الاستاذ في زمن المعتصم من المحن والاهوال التي ذاقهـا الامام رضي الله عنه وكان مجتهدا ورعا زاهدا صدوقا

قال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد وما خلفت فيهـا

الجاهلين اقوالهم ويردعهم بسيف الشريعة المطهرة حتى تغلب اهل الحق على اهل الباطل

الدرس الخامس

لم يكن القول بالقدر على عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وانما حدث في زمن عمر ابن عبد العزيز حينما كان الجهم بن صفوان يقول بهذا القول ثم ان من جملة القائلين به الجعد ابن درهم مؤدب مروان الجعدى ثم مشى عليه المعتزلة ..

القول بالقدر هو اعتقاد ان الانسان يوجد افعال نفسه لا دخل للقدرة فيها بشيء وهذا خلاف ما عليه جمهور اهل السنة ..

احدا انقى ولا اورع ولا افقه من احمد بن حنبل وقد روى عنه مسلم والبخاري وابو داود وابراهيم الحرثي

[قوله اختلاف الناس في القدر الخ] وان هذا من جملة الاسباب المفرقة للمسلمين والتى جرت به عليهم الويلات وانبتت في قلوبهم ضغائن يتفطر لها القلب بدع استبدعتها الدخلاء في الدين الزائغة قلوبهم عن الطريق القويم ما تعرض لها صحابة الرسول ولا قال بها

اختلف الناس في القدر فذهب البعض الى اعتقاده وآخرون الى اعتقاد الجبر وقوم توسطوا بين ذلك وآخرون مذبذبون كالشاة العائرة جبريا تارة وقدريا اخرى لا الى هولاء ولا الي هؤلاء

وجد القدرية لهم ادلة كثيرة فتمسكوا بها من الكتاب والسنة وغفلوا عن معانيها الحقيقية وعما يقابلها من الادلة المتوسطة الكثيرة من الكتاب والسنة .. القدرية قسمان قسم قصد تنزيه الباري تعالى عن ان تكون افعال العباد مسندة اليه لما فيها من الخسة والدناءة ورأوا ادلة فقصدوا تنزيهه فقالوا بتقدير العبد افعال نفسه وقسم ارادوا ان يوقعوا الشكوك في اذهان الامة فجالوا جولة في ميدان هذا المضمار واظهروا مكنون ضمائرهم فقالوا الانسان خالق افعال نفسه فساد ذلك القول وظهر انه فساد لاهل السنة ولكن خفي على كثير

الصادق الامين قضى القائلون بها زمنا ليس بالقليل بين قال وقيل وتكفير بعضهم بعضاً واضلال وتضليل لا رادع من الذين بيدهم القوة ولا زاجر فكثرت الاقوال وطالت الابحاث وغلت كل فرقة بمذهبها واستطالت واختلط على الناس في ابحاثهم الغامضة الغويصة الحابل والنابل فوقف طالب الحق من اقوالهم وحججهم حيران لا يقدر ان يميز الخبيث من الطيب لاسيما وان هذا البحث قل من خاض غماره

من الرعاع الذين مالوا مع اولئك المتمخرقين وسلكوا ذلك السبيل سبيل الاقوال المناقضة والآراء الباردة والدسائس المعلومة . نقول لكم ان الذين هم القسم الثاني الجبرية مشوا على عكس ما يقول القدريون تماماً فقالوا لا حركة ولا استطاعة ولا فعل للعبد بشيء وانكروا الجزء الاختياري وجعلوا يخبطون في ديجور الجمود خبط عشواء وانكروا التكاليف فكان كل من القدري والجبري مائلا مع الافراط والتفريط . الجبري الذي كان يقول ذلك عن اخلاص فيه هو ممن استولى على دماغه الجمود والذي قصد الافساد اراد القاء الشقاق بين الناس وابطال التكاليف وتعطيل الحدود والجزاء والصانع مال للجبر كثير ممن يتسمون بالزهد والتصوف لا الصوفية الحقيقيون كما ذكر الصوفية يظن من لا خبرة له ان مطلق صوفي جامد

فنجا ولولا ان قيض الله العلماء العارفين والمخلصين لامتهم في كل زمن يتوسطون في الامور لا تاخذهم في الله لومة لائم في قمع اهل الزيغ والارتياب والرد عليهم متكلين على الله بنيات خالصة لا يشوبها مقاصد سوء وقد ردوا على المعتقدين بالقدر اعتقاداً فاسداً كما بين الاستاذ ذلك وجاهدوا جهاداً عظيما ودونوا كتباً للناس بينوا لهم فساد غلو اعتقاد القدريين والجبريين لئلا تتوهم المسلمون وتغتر باقوالهم المخالفة

وانه جبري او انه عبارة عن الذين ينتسبون الى طريقة من الطرائق التى لا تكاد تحصى الصوفي الحقيقي هو من خيره رجال الامة واهل هذا المسلك ممن نتمنى ان يكونوا ثلث الامة بل النصف بل الكل لما عليه من حسن النية وصفاء الطوية ومتابعة السنة الشريفة . اهل التصوف ومنشأه يجب معرفة ذلك ونحن نشرحه بشرح لم يطلع عليه الاكثرون كان فقراء الصحابة رضوان الله عليهم يجلسون في جهة من المسجد ابداً وكان طعامهم وشرابهم من اخوانهم في الدين . ظلوا على ذلك الحال حتى نقل صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ولم يعكر على احد منهم شيئا من ذلك بل كان يحبهم و يحبب بهم ثم حدثت الفتن والحروب فتجنبت علماء الصحابة الدخول فيها وجعلوا المساجد بيوتهم كاهل الصفة فمن رآهم من اهل الورع يستاذن منهم

لصراحة الكتاب المنزل والحديث الصحيح وكل منهم ينصر مذهبه ببراهين واهية ولو اردت ان اذكر اقوال جميع ما اوردته المبتدعون والذين ردوا عليهم من فحول علماء المسلمين لضاق نطاق هذا الطرس ومله القارئون فلذلك اخترت ان الخص البحث بعبارة وجيزة تغني الطالب عن المجلدات والدواوين ان شاء الله . قال امير المؤمنين باب مدينة العلم سيدنا علي كرم الله وجهه للسائل عن القدر [اما اذا

ان يعمل كما يعملون فياذنون له فيجلس الماذون معتكفا في المسجد ثم ان الماذون له ياذن لغيره تادبا حتى اصبحت المسألة بحسب العادة كانها لا تكون الا بالرخصة فجاء اناس كثرت تلامذتهم واولئك التلامذة مفتقرون الى تعلم كيفية العبادة فكانوا يتعلمون من اساتذتهم و يعدون هذا التعليم ارشادا فغدا لكل شيخ تلامذة يسمون مريدين هؤلاء اختاروا الذهد ولبسوا الصوف الخشن على الثياب تقشفا فسموا صوفية وهؤلاء من خيرة الرجال وقد نشأ منهم الصالحون العالمون القانتون كالجنيد واضرابه فمن انكر عليهم فقد جاء بهتانا وزورا واما تاسيس مسلك الصوفية يعني الذين تشبهوا بالصوفية فلا نذكره في هذا المحل لما له من القواعد والشروح التي تحتاج لمجلد كبير ان هؤلاء المتصوفه اختاروا مسلك الجبرية وقال احدهم وهو الحلاج

ايبت انه امر بين امرين لا جبر ولا تفويض] هذا هو مذهب المسلمين اهل السنة والجماعة وقد ايده وذهب اليه الامام الاشعري رحمه الله تعالى بقوله ان العبد فاعل باذن الله تعالى وان مكسوبه نفس الفعل الاختياري لا مقارنته لقدرته وارادته من غير ان يكون هناك منه تاثير والمراد بكسبه تحصيله بقدرته المفاضة عليه من الله عز وجل

ماحيلة المرء والاقدار جارية   عليه في كل حال ايها الرائي
القاه في اليم مكتوفاً وقال له   اياك اياك ان تبتل في الماء

سلك اولئك طريق الخمول وزعموا ان الانسان لا ينبغي له السعي لرزق ولا لغيره لان الانسان غير مكلف وجاؤا باقوال لا نحب ذكرها في هذا المكان لئلا يظن البعض تحاملا عليهم . هؤلاء الجبرية تمسكوا بآيات واحاديث مثل ما كانت لهم الخيرة وامثال ذلك وحدا حاديهم بهذه الادلة وراج سوقها على الذين لا ينظرون في بنية الادلة ولا يعلمون حقائق المسائل فاذا قيل لاحدهم اشتغل قال لو توكلتم على الله حق الاتكال لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ظنا منه ان الطير مرزوقة بلا سعي والحال ان الطير تغدو اعنى تذهب جائعة طالبة للرزق وترجع به فقد وجد بنفس دليلهم

المؤثرة لا مستقلا بل باذنه تعالى ما تعلقت به من الافعال الاختيارية مشيئته التابعة لمشيئة الله تعالى . فخرج بقيد قدرته الجبر المحض وهو القول بانه تعالى لم يخلق للعبد قدرة اصلا . وبقيد المؤثرة الكسب المفسر بمقارنة القدرة للمقدور من غير تاثير بالكلية . وبقيد لا مستقلا بل باذن الله تعالى القول بالاستقلال الذى يزعمه المعتزلة وان مذهب الامام الاشعري هو المذهب الوسط اذ ان كل فعل صدر عن العبد

دليل لزوم الغدو لطلب الرزق وهو السعي لاجله فهم تمسكوا بما قيل لهم هذا دليل لا بما هو دليـل حقيقة وقانا الله من عمى القلوب وقد بلغنا عن سيدنا عمر رضي الله عنه انه قال محرضا لقومه على الصنائع والتجارة علمتم ان السماء لا تمطر ذهباً فاسعوا و كحديث الذي سئل عند من يطعم فرسه قالوا كلنا فقال كلكم خير منه مع انه كان مرابطاً للجهاد لذلك قامت العلماء الاعلام على بعض المدعين انهم من الصوفية والتصوف براء منهم فلم يجدهم ارشاد المرشدين ولم ينفعهم قول العلماء . لان السيادة والرئاسة وحب التقدم والمشيخة تؤدي

بتاثير قدرته عند تعلق ارادته الموهوبة له فهو لا يصدر عنه بمجرد ذلك بل لكون الحق تعالى اراد ذلك منه للنص المجمع عليه . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وكل ما كان كذلك وجب وقوعـه باختياره التابع لاختيار الحق تعالى فلا يمكنه الترك وكل ما كان كذلك كان مضطرا مجبوراً في اختياره لا مستقلا فيه والخلاصة ان الناس قد ذهبوا في افعال العباد الاختيارية على مذاهب واستدلوا بها بادلة يطول شرحها فذهب المعتزلة الى انهـا بقدرة الله فقط بالاختيار وقـد فـوض الـله تعالى الامر اليه فيفعل ما لا يريد الله تعالى و يريد الله تعالى ما لا يفعله العبد وذهب الفلاسفة الى انها

الى ارتكاب الذنوب وتوصل الى الكبرياء والغرور بالنفس وهـذه
العادة من طبيعة الانسان لايقدر على التصرف بها الا القوم الابرار.
ان اكثر الجهلاء تغرهم امانيهم و يجذبهم الانحياز عن الطريق القويم
حب الفخفخة فينقادون مع شيطانهم الى الهوى والعياذ بالله و ياليتهم
اقتصروا بل انهم يغشون بعض العامة و يزخرفون لهم العبارات
و يحدثونهم باحاديث مختلقة على صاحب الشريعة الغراء و يحسنون
للناس الاشياء التي فيها افراط وتفريط ولا يقبلها الشرع لان الشريعة
نقية بيضاء . كل ذلك من حب الشهرة والسيادة والا لو كان الانسان
منقادا الى الحق لما استقام على الضلال ولما جادل بالمحسوس وخاتل

بقدرة العبد بالايجاب وامتناع التخلف متى قارنت حصول الشرائط
وارتفاع الموانع وذهب الجبرية الى انهـا بقدرة الله بلا قدرة من
العبد اصلا فمثل العبد عندهم فيما يصدر منه مثل الريشة في الهواء الا
ان للريشة نوع ميل طبيعي نحو المركز تعارض به الهواء في الجملة
وليس للعبد ما يعارض عواصف القدرة الالهية بالكلية وان المتصوفة
الذين اختاروا مذهب الجبرية منهم الحلاج كما ذكره الاستاذ فقد
ضلوا سواء السبيل وتاهوا في ديجور الاوهام على مـا نذكر لهم من
الاقوال المغايرة للافهام ان شاء الله

بالحقائق وترك العلماء المعترضين على البدع السيئات فقد كان ذلك ولا يزال الى وقتنا هذا فان بعض المنكرين على المتزيين بزي اهــل الصلاح حبسوا واهينو بسبب انكارهم المنكر وهديهم الطريق المستقيم والله المستعان

[قوله كان فقراء الصحابة الخ] ان ما ذكره الاستاذ عن اهل التصوف الحقيقي ومنشاه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وانهم فقراء الصحابة وعلماؤهــا الزاهدون الورعون الذين هم اجتنبوا الفتن والحروب حين حدثت وجعلوا المساجد بيوتهم كاهل الصفة وانهم قد اذنوا لمن يجلس في المسجد معهم ثم الماذون له ياذن لغــيره تادبا حتى اصبحت المسالة بحسب العادة كانها لا تكون الا بالرخصة فكثرت من بعدهم المشايخ والتــلاميذ وقدنشأ بعدهم مريدون زهدوا في الدنيا ولبسوا الصوف الخشن فسموا صوفيه كالجنيد واضرابه من خيرة الرجال الصالحين ومن لا يختلف في ولايتهم اثنان من المسلـــين فمن يراجع اقوالهم وجهادهم في الله واعمالهم المطابقة للشرع الشريف يعتقد بانهم احباب الله تعالى الذين يغــار عليهم ويحب من يحبهم ويبغض من يبغضهم تمسكوا بالكتاب والسنة واصلحوا ظاهرهم وباطنهم مع الله وارشدوا الناس الى معرفته ولم يبتدعوا في الدين بدعا مــا انزل

الله بها من سلطان كما ابتدعته بعدهم المتصوفة المتاخرون المتكلمون في الكشف وفيما وراء الحس المتوغلون في مذهبهم بعبارات واقوال ادمن الكثير من الناس مطالعتها فخلعوا ربقة الاسلام والتكليفات الشرعية من اعناقهم وضلوا واضلوا فبكتبهم تفرقت المسلمون وانتحلوا اسماء سموها على مقتضى اهوائهم فمما نسب ودس على الشيخ محي الدين الاكبر من الاقوال قوله [سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها] وقوله من ابيات في الفصوص

الرب عبد والعبد رب   فليت شعري من المكلف

ومن ابيات له [فلولاه ولولانا   لما كان الذي كنا]

ومنهم عبد الكريم الجيلي القائل [ان هو من قل هو الله احد] راجع الى ضمير الخطاب المستتر في قل المقدر بانت مراداً به الانسان الكامل وقد قال ايضاً ان النصارى لم يكفروا باصل الحمل وانما كفروا بالحصر الذي تضمنه كلامهم اى بدعوى ان الله هو المسيح لا غيره من الاشياء ولو عمموا لم يكفروا وكقول الحلاج

[جحودي لك تقديس   وعقلي فيك منهوس]

[فما آدم الاك   وما في الكون ابليس]

وكقوله في رسائله [من الهوالى الهو هو رب الارباب وقد

ادعى الالوهية ومثله ما ينسب لبعض الصوفية ايضاً

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لاني في التحقيق لست سواه

الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يكاد يستقصى ومنهم ايضا ابن سينا الشهير القائل جل جلال الحق ان يكون شرعة لكل وارد او ان يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد ومنهم اثير الدين الابهري وعلماء آخرون مثل عفيف الدين التلمساني القائل

[ولسوف تعلم ان سيرك لم يكن الا اليك اذا بلغت المنزلا]

ومن اقوال الكثير منهم الذاهبه الى الحلول والوحدة مثل الهروى في كتاب المقامات له وغيره امثال ابن سبعين وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم المؤيدة لمذهب الاسماعيليين المتاخرين من الرافضية الدائنين بالحلول وآلهية الائمة وبذلك اشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام الصوفية القول بالقطب ومعناه راس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من اهل العرفان وانني اقتصرت على ذكر بعض اقوالهم وصرفت النظر عن ذكر كثير من الاقوال المشحونة في كتبهم لان في ذكرها تقشعر جلود المؤمنين ومن المحرضين على قراءة كتبهم

وتقديسهم من كل نقد بعض المادحين لهم من العلماء المعتقدين في المسلين كالعلامة ابن حجر الهيثمي في التحفة وفي بعض فتاويه الى ان قال : فمن لم يكن ممن اتقن العلوم الظاهرة والباطنة ونظر فيها فهم خلاف المراد فضل واضل انتهى ونحو ذلك من اقوال غيره فاذا سلمنا بان تلك الكتب المشتملة على هاتيك المضلات ما الفت الا لمن يفهم مرادهم مما اشتملت عليه من العبارات والاشارات . والا فاين هم مما جاء في صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه [حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله] وفي جامع الصغير معزواً الى ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما انت محدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان عليهم فتنة . ومما نقل عن حجة الاسلام الغزالي من انكار الامام احمد على الحارث المحاسبي في نقل الشبهات [اي التي لم تشتهر] وردها بما حاصله ويحك ما يؤمنك ان تعلق الشبهة بقلب السامع ولا يقوى الجواب على ان يقلعها لا اكلمك ابداً ان الامام الغزالي رضي الله عنه خشي علوق تلك الشبهات بمجرد نقلها ويشهد الله ان علوقها اهون بكثير مما يعلق بقلب السامع الجاهل من عبارات القوم في كتبهم وتعاصيه عن التقلع بالجواب اقوى من تعاصيها وقد علقت في قلوب كثير من

الجاهلين وتمكنت حتى اختلطت في لحم ودم الناظرين بها والهائمين بنشر الدعاية للناس على تلقينها . ووقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون واكفر بعضهم بعضا وتعلق كل فريق منهم بعبارات واشارات يؤولها حسب هواه تاويلا مخالفا للنقل والعقل واذا اعترضهم معترض يقولون له [لا تدري علم الباطن] ويصرفون آيات الكتاب الى ما يستحسنونه وحمل تاويله على ما ينتحلون وقد صدر حديثا كتاب لاحد المنتمين لطريقة القوم وتوزع على الناس فكل من يقراه ويتمعن في عباراته يظهر له فساد هذه الطريقة المخالفة للشرع الشريف والهدي المحمدي ومما جاء فيه باقوال يترفع من به ذرة من العقل ان يذكرها فمن ذلك قوله الذي نتبرأ الى الله منه [فما القلب والخنزير الا الهنا الخ] وقوله ايضا في تفسير [قل هو الله احد الخ هو ضمير راجع للضمير المستتر بقل يعنى انت يا محمد الله احد وغير ذلك من الالفاظ المستهجنة وهذا التفسير يقرب من تفسير عبد الكريم الجيلي الذي ذكرناه سابقا ومن هذا القبيل ايضا تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم الباطن بما وقع اليهم من جلد جفر ادعوا انه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون الى علمه وكل ما يكون الى يوم القيامة فمن ذلك قولهم في قول الله

عز وجل [وورث سليمان داود] انه الامام وورث النبي صلى الله عليه وسلم علمه وقولهم في قوله عز من قائل [ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة] انها عائشة رضي الله عنها] وفي قوله تعالى [فقلنا اضربوه ببعضها] انه طلحة والزبير وقولهم في الخمر والميسر انهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما [والجبت والطاغوت انهما معاوية وعمر بن العاص] مع عجائب مضحكة جدا · وقد كنت اود ان لا اذكر ما ذكرت من الاقوال المنكرات [لقوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون] لولا ان راج سوق البدع وظهرت للوجود كتب تعيد للناس النغمة الاولى وانه من الواجب على العلماء اليوم ان يرشدوا الناس للعمل في ما جاء بالكتاب والسنة واتباع احسن ما انزل الينا من ربنا لان العلماء هم المسئولون غدا حيث ان العامة اتباع كل ناعق قال الله تعالى في كتابه المبين [وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين] وهل ذكرى انفع للمؤمن من دعوة التائهين عن الطريق المستقيم والهائمين بطرائق متنوعة الالقاب مختلقة في الاسلام مخالفة لروح الدين نقلا وعقلا · لعب بها دوراً عظيما من قبل الدخلاء فيه فتبعهم الجهلة من عباد الرئاسة والانانية من تزيو بزي الصلاح وتصدروا للارشاد فعميت بصائرهم عن الحقائق

وافتتنوا بغض طرف العلماء عن انكار منكر فعلوه . فنبذوا كلام الله
الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ظهريا واولوا آياتـه
تاويلا باطنيا واختلقوا طرقا وطرائق واجتماعات مخصوصـة واقوالا
مدسوسة اسندوها الى رجال علماء صلحاء معتقدين في الدين كما بينا
وهم مما ابتدعوه واجتمعوا عليه براء لا علم لهم كما دلت عليه كتبهم
واقوالهم المأثورة عنهم في الكتب المتداولة بايدى المسلمين لان
سلف المتصوفة من اهل الرسالة اعلام ملة الدين انما كان همهم الاتباع
والاقتداء ما استطاعوا لا الابتداع . ومهما ابتدع المبتدعون من
المنتسبين للصوفية بدعا توجب الشك في عقول القاصرين الجاهلين
فذلك لا يؤثر في المعتقدات بالدين لان للدين اهلا وانه محفوظ في
الصدور لا تعفو آثاره ولا ينهدم مناره ولا ينبت حبـله ولا يزول
ما دامت السماء والارض تصديقا لقوله تعالى [ولتكن منكم امة
يدعون الى الخـير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم
المفلحون] اللهـم اجعلنا من الذين سمعوا القرآن فوعوه وعرفوا الحق
فرعوه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي لم يمتحنا بما تعي العقول
به . ولم يتركنا في امر مشتبه وعلى آله والاصحاب ومن هدى بهديهم
الى يوم الحساب

ومما يناسب هذا المقام ابيات من منظومة للسيرة النبوية للعلامة الوارث المهدي المحمدى الشاهر في نصرة الدين سيفا نبت فيه كل مبتدع ومعتدى . الاستاذ الشيخ سعد افندي الجابي المدرس العام بحماه حالاوهي قوله

وربما تراهمُ ركوعا ... امام تمثال يرى مصنوعا
كهيئة المقبور في الرقبة ... والراس والاكتاف والعمامة
ويطلبون منه مالا يطلب ... الا من الله وبعض يشرب
ماء اتقد بيت فوق القبر ... مسوراً بقطعة من ستر
وفي مكان الماء بيت الحصا ... بعض لدفع دائه الذى عصى
او حبل او جلب المحبة ... والله قال في صريح الآية
[جعلا له شركاء فيما آتا ... هما] فهل يجديهما هيهات
لتتبعن سنن الذينا ... من قبلكم ويحلف اليمينا
احدهم بغير اسم الله ... بمن يكون عندهم ذا جاه
معتقدين انه ان كذبا ... بحرمة الولي حتما ضربا
وقد اتى بان من يحلف في ... غير الآله مشرك لا تحلف
الا به سبحانه ولا تهل ... ذبيحة الا له عز وجل
فهذه اعمال عباد الوثن ... قد ظهرت وربما الذى بطن

من اعتقاد المفرطين اعظم يجهله بعض و بعض يعلم
لكنه ان قال هذا منكر يحرم تقبيل يد لا تفتر
عن ان تكون بيد المقلبين كمصحف حل بايدي القارئين
يعتقدون الهدي والضلالا بيده لانه تعالى
على قلوب المرشدين ينزل ما شاء من فضل ومنها ينقل
للسالكين فلذا يراقبون في الذكر شخص شيخهم و يزعمون
بانه من قلبه يمتد نور من الفيض لهم يمد
كانهم لم يبصروا [من كانا يرجو لقاء ربه] عيانا
فليعبد الله ولا يشرك به من احد فما له لا ينتهي
من لقن الطريق عن ذا الادعاء كانه يوحى له من السماء
انى له هذا وجاء انك لا تهدي من احببت فافهم ذلك
بانه في حق خير الرسل فكيف عامه الهوى والجهل
[اتخذوا احبارهم] فيها عظه لمن تلا مدبرا في الموعظه
هذا وان ما سمعت اعدل طرقهم والكل فيها يحفل
فلا تسل بعد عن الحلول ووحدة الوجود والنزول
لحلقة الذكر بلبس الراقصات وشهرة في الراس ثم الالتفات
نحو الرئيس وركوع تقشعر منه جلود المؤمنين و يضر

صنيعهم من كان صدر الصف — مدعياً كعالم في الصف

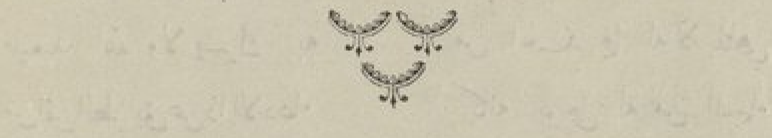
بانهـا طريقة الصديق — نعوذ بالله من التلفيق

ندس في الدين الضلال ونقول — طريقة الدين ونفتري النقول

وبعض من يقال اهل علم — تراهم في حلقات القوم

يؤيدون بدعا ما انزل الل — ه بهـا سلطانه حتى يضل

من قد راهم شاهدوا وسكتوا — حتى يقول ان هذا مثبت



خاتمة الكتاب

ما من امة من الامم اهملت امر دينها وغيرت و بدلت واولت آياته المحكمة حسب الاهواء . وتفرقت في الاعتقادات المشوبة باقوال مدسوسة من الدخلاء في الدين لمآرب واغراض كامنة في صدورهم فاوجدوها لحيز الوجود حين وجدوا فرصة لدسها وهي غفلة العلماء وقصورهم عن القيام بواجباتهم الدينية من بيان الغث فيه والثمين والزيادة والنقصان في اصول الدين . الا سلط الله عليهم انواع العذاب وعاشوا اذلة لا قيمة لهم ولا وزن في معترك هذه الحياة سنة الله في خلقه اذ انه لا نجاح ولا تقدم لهذه الامة الا بتمسكها بتعاليم دينها الحقيقية والاعتصام به والدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة و بتاليف قلوب الامة لما فيه سلامتها . فان الفتن لتسيل عليها كالسيل الجارف فاذا لم تسع العلماء لبناء سد مكين له ولم تحفل به يجرف منها البقية الباقية وتتخطفها الامم كما تتخطف الذئاب الغنم الضالة التي لا راعي لها [قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها فقال

قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل انتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل [يا رسول الله ما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت رواه ابو داود في سننه عن ثوبان مرفوعا] وقال صلعم [لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم بذنوبكم من لا يخافكم ولا يرحمكم فيدعو خياركم فلا يستجاب له] ومن تدبر آيات الكتاب والاحاديث الواردة بهذا الباب وفكر في حالتنا الحاضره وما نحن عليه من التفرقة وسلوكنا سنن من قبلنا من الامم الخالية والتي صب عليها العذاب لمخالفتها رسلها واتباعها الشهوات لما ارتاب بان مصيرنا ومصيرهم سواء على انه ان تلافت العلماء الامر وتلقت الكوارث بالصبر وجردت الهمة وبثت العلم الحقيقي وعملت بما علمت وقامت يداً واحدة بنشر لواء المحبة بين افراد الامة وقومت المعوج بما يلائم لروح الوقت ورفعت سوء التفاهم من النفوس واخلصت العمل لله فالله لا يخيب مسعاهم ولا يرد من عليه في اموره اتكل . فاذا وجد في الامه علماء كما ذكرنا ترفع لواء الدين وتحث على الاخلاق المحمودة المسلمين وتنفرهم عن مذمومات الاخلاق وتجمعهم على ما اشتمل عليه الدين المذهب

للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس المؤلف الكلمة لقبول الخير وقمع شروش قبيح العوائد وسوء الملكات التي استحكمت في النفوس فصارت لهم خلقاً وجبلة وامست لذة لهم لما فيها من الخروج عن ربقة الدين والدين هو الوازع للامة من انفسهم . والحاصل فلنقل على الدين واهله السلام ما دامت العلماء مهملين الواجب عليهم نائمين عن المطلوب منهم لا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيد ، فهم غارون آمنون الفوا الخمول وتوالت على ذلك منهم الاجيال وتنزلوا منزلة العجزة الذين هم على الامة عيال ورؤساء اديان الامم قائمون متكاتفون يتجافون عن الهجوع في جمع كلمة امتهم ونشر الدعوة لدينهم مدلين ذلك بقوة الارادة واثقين بانفسهم قد صار لهم الاقدام خلقاً والجهاد في سبيله سجية والانسان ابن عوائده ومالوفه لا ابن طبيعته ومزاجه وما يالفه يصير له خلقاً وملكة وعادة تتنزل منزلة الطبيعة والجبلة فالامة بحاجة اليوم لتاليف جمعية دينية يراسها احد العلماء بحيث تكون ذات نظام وتعاليم خصوصية ترمي الى تمييز الجاهل من العالم والمدرس من المتلاعب وبذلك تجمع كلمتهم فيسير كل مرشد ومهذب وقاص على طريقة قويمة لا يتعداها وكل واحد من هؤلاء يختص بفن واحد يتقنه لئلا يدخل الخلل وتقل الفائدة لاننا راينا كثيراً ممن يظن بهم

العلم ينقلون احاديث مكذوبة للناس فاختلط الصحيح بالموضوع
والضعيف بالحسن وامثال ذلك فلو وقف الفقيه بالفقه عنده والمحدث
اتقن فنه والمتصوف لم يتجاوز حده لما كثرت كتب الخرافات
والخلط . فلا عذر للعلماء ان لم يجردا الهمة لخدمة الدين ، فيا ايها
العلماء اصبحتم مضغة في افواه الناشئة يرمونكم بالجمود فلا تظنوا ان
الزمن لم يتغير بعد فقد وجهوا عليكم الانتقادات ورموكم بما رموكم به
وحاشاكم عما يقولون . لكن تغافلكم عن الذين يتزيون بزيكم هو
الذي وجه عليكم العتب والانتقاد ميزوا العالم من الجاهل وابتروا
الفاسد من الصحيح وامنعوا الذين يتصدرون للتدريس وهم لا
يعلمون اقطعوا تهمة الجمود عنكم باحتكار الوظائف الدينية لمن يعلم .
ولا تنظروا الى ان فلانا فقير الحال يريد ان يعيش بل انظروا الى ان
الوظيفة مفتقرة الى اهل لها . فالعامة يظنون ان كل متصدر للتدريس
فرد من افراد العلماء والحال ليس كذلك فاوجدوا جمعية علمية تسلب
من الجاهل زيّ العلم ليتسنى للعالم الفاضل العمل بما علم فعسى ان
تنتبهوا الى السير على ما كان عليه منبع الشريعة وخلفاؤه والله الموفق

تقريظ الكتاب

للعالم الامام واللوزعي الهمام صاحب الامضاء

جمعت خمس دروس في فوائدها	خمسون [كالخمس] حين الله انزلها
رسالة صغرت حجماً وقد كبرت	علما فعفواً لمن قد كان مهملها
اوضحت ماقرر الاستاذ من حكم	يراعك العذب للطلاب فصلها
والفضل يقدره اهل الفضيلة اذ	كانوا لها عند فقد الاهل موئلها
فقل لمن جمع الاسفار ملتقطاً	مبعثرات المعاني خذ محصلها
فالمرء في اصغريه لا بهيئته	والكتب فيما حوت فاستقص افضلها

محمد سعيد الجابي

وللفاضل الاديب صاحب الامضاء ايضاً

انعم بحسن رسالة قد الفت	حوت الحقائق للملا في الدين
قل للمكابر هذه آثارهم	تنفي الشكوك عن الحجى بيقين
ليس الديانة في رموز حلها	حسب الهوى ومآرب وشئون
فقل الحقيقة ايها [المصري] ولا	تعبأ بقول معطل مفتون
لله درك من اديب فاضل	احييت ذكر فضائل [الصابوني]

عبد الوهاب



زكيه

